النقــدُ الحداثــيُّ العربيُّ: رؤيةٌ ونقدٌ قرائيٌّ فــي كتابِ المرايا المحدَّبة لعبــدِ العزيزِ حمودة

إعـــداد

أحمد فواز الخليل

رجب عبدالغني رشواني

بإشراف الدكتورة : هناء ابو زينب

جامعة الزّيتونة الدوليّة

كلية الدراسات العليا والبحث العلمي

ماجستير اللغة العربية

الجامعة الإسلامية بمنيسوتا
Islamic University of Minnesota
IUM المركز الرئيسي

الملخص:

يتناول هذا البحث موضوع الحداثة في النقد الأدبي العربي من خلال المشروع النقدي للدكتور عبد العزيز حمودة، الذي يُعد من أبرز المفكرين العرب الذين سعوا إلى تأسيس نظرية نقدية عربية تنبع من التراث الثقافي المحلي، بعيدًا عن التقليد الأعمى للمدارس الغربية. يبدأ البحث بتوضيح مفهوم الحداثة في السياق الغربي وانتقاله إلى العالم العربي مع بداية القرن العشرين، مؤثرًا في الكتاب والنقاد، مع الإشارة إلى انقسام النقد العربي الحديث بين اتباع المدارس الغربية كالأسلوبية والبنيوية والتفكيكية، ومحاولة آخرين الحفاظ على الهوية العربية من خلال استلهام التراث البلاغي والنقدي العربي.

يركز البحث على دراسة موسعة لمشروع حمودة في كتبه الثلاثة: المرايا المحدبة، المرايا المقعرة، والخروج من التيه، حيث استخدم استعارة المرآة المحدبة لتصوير زيف النقد الحداثي الذي يطبق المناهج الغربية على النص العربي بلا وعي بسياقه. ينتقد حمودة البنيوية لانحيازها للبنية على حساب المعنى، والتفكيكية لما تؤدي إليه من انعدام المعنى، والسيميائيات لتركيزها على العلامات اللغوية دون السياق الثقافي.

يدعو حمودة إلى العودة للتراث البلاغي العربي، مثل الجرجاني والقرطاجني، لإعادة تأسيس نقد أصيل يوازن بين الأصالة والانفتاح الواعي على الحداثة الغربية. لا يرفض الحداثة من حيث المبدأ، بل يرفضها منقولة بلا تمحيص، مقترحًا حداثة عربية تلبي حاجات المجتمع المحلي. كما يكشف «خطاياه النقدية» مثل تبسيط المعرفة لكسر الغموض ونقد النرجسية التي أصابت بعض النقاد العرب. في الختام، يظهر مشروع حمودة كمسعى لبناء بديل نقدي قائم على التفاعل الخلّاق مع التراث والانفتاح الواعي على الفكر الغربي، دون التبعية أو الانبهار.

الكلمات المفتاحية:

النقد العربي – الحداثة – عبد العزيز حمودة – التراث النقدي – الهوية الثقافية

ium.usa.online@gmail.com www.ium.edu.so
+ 967 730053135 http://ium.usa.online

Abstract

This study addresses the topic of modernity in Arab literary criticism through the critical project of Dr. Abdel Aziz Hamouda, one of the most prominent Arab thinkers who sought to establish an Arab critical theory rooted in local cultural heritage, far from blind imitation of Western schools. The study begins by clarifying the concept of modernity in the Western context and its transfer to the Arab world at the beginning of the twentieth century, influencing both writers and critics, while noting the division of modern Arab criticism between followers of Western schools such as stylistics, structuralism, and deconstruction, and others who attempted to preserve Arab identity by drawing on Arab rhetorical and critical heritage.

The study provides an extensive analysis of Hamouda's project in his three books—Concave Mirrors, Convex Mirrors, and Exiting the Labyrinth—where he uses the metaphor of the concave mirror to depict the falsity of modernist criticism that applies Western methodologies to Arabic texts without awareness of their original context. Hamouda criticizes structuralism for privileging form over meaning, deconstruction for leading to the absence of meaning, and semiotics for focusing on linguistic signs without considering cultural context.

Hamouda calls for a return to Arab rhetorical heritage, such as the works of Al-Jurjani and Al-Qartajani, to reconstruct an authentic criticism that balances originality with conscious openness to Western modernity. He does not reject modernity in principle but opposes its uncritical adoption, advocating instead for an Arab modernity responsive to the needs of Arab society. He

ium.usa.online@gmail.com www.ium.edu.so
+ 967 730053135 http://ium.usa.online

also exposes “critical errors,” such as simplifying knowledge to demystify opaque discourse and criticizing the narcissism of some Arab critics. Ultimately, Hamouda’s project represents an effort to build an alternative critical approach based on creative engagement with heritage and informed openness to Western thought, without falling into dependency or blind admiration.

ium.usa.online@gmail.com www.ium.edu.so
+ 967 730053135 http://ium.usa.online

المقدمة

يمثل النقد الأدبي العربي المعاصر مرحلة مفصلية في تاريخ الفكر الثقافي العربي، إذ شهدت هذه المرحلة تحولات جذرية على مستوى النظرة إلى النص الأدبي، والمنهجية في التحليل، والمرجعية الفكرية. فقد ارتبطت الحداثة النقدية العربية، منذ بداياتها، بالتفاعل مع الموروث الغربي الحديث، سواء من خلال البنيوية أو التفكيكية أو الأسلوبية، وهو تفاعل أفرز جدلية بين التبعية الفكرية ومحاولات الإصلاح والتجديد. وفي هذا السياق، يبرز مشروع الدكتور عبد العزيز حمودة كإحدى التجارب النقدية الرائدة التي سعت إلى إعادة النظر في أسس النقد العربي، وإعادة تأسيس نظرية نقدية عربية تستند إلى التراث الثقافي والبلاغي العربي، مع الانفتاح الواعي على التجارب الغربية دون الانغماس في محاكاة عمياء.

إن دراسة منطلقات حمودة في نقد الحداثة، وتحليل أدواته النقدية، واستعراض مواقفه من البنيوية والتفكيكية، تكشف عن رؤية نقدية متكاملة تسعى إلى بناء جسور بين الأصالة والمعاصرة، بين التراث والحداثة، وبين النظرية والتطبيق. كما يعكس مشروعه الحرص على استعادة مكانة النقد العربي ضمن المشهد الفكري العالمي، دون فقدان الخصوصية الثقافية والحضارية للمجتمع العربي.

تسعى هذه الدراسة إلى تقديم قراءة متأنية لمشروع حمودة النقدي، من خلال توضيح رؤيته للحداثة الغربية والعربية، ومناقشة معركة «المرايا» بوصفها محطة محورية في التاريخ النقدي العربي الحديث، وتحليل أدواته الفكرية في تفكيك الخطاب النقدي الحداثي، مع التركيز على إمكانية بناء نظرية نقدية عربية مستقلة تستمد قوتها من التراث وتستجيب لاحتياجات الواقع المعاصر.

ium.usa.online@gmail.com www.ium.edu.so
+ 967 730053135 http://ium.usa.online

الفصل الأول

الباب الأول:مفهوم الحداثة في النقد الأدبي

يتناول هذا المبحث تحديد مفهوم الحداثة في سياقه الغربي والعربي، مع بيان خصائص الخطاب الحداثي في المجال الأدبي، وتحولاته البنيوية والدلالية، لا سيما في سياق الشعر والرواية والنقد. كما يناقش التمايز بين الحداثة وما بعد الحداثة، وأثر كل منهما في الممارسات النقدية.

يُقصد بمصطلح النقد الأدبي في العصر الحديث: «الاستعمال المنظَّم للتقنيات غير الأدبية، ولضروب المعرفة غير الأدبية أيضًا، في سبيل الحصول على بصيرة نافذة في الأدب»، حتى يفضي إلى دراسة دقيقة للنص، تُشبه تحليل الأشياء تحت المجهر. وسرّ هذا التعريف السابق منطوٍ في كلمة «منظَّم»، ذلك لأن أكثر هذه التقنيات والنُظُم لم يكن مجهولاً في النقد القديم، ولكنه كان يُستعمل بطريقة عفوية عارضة، ولم تكن العلوم المؤثرة في النقد قد تطوّرت تطورًا كافيًا لتُستعمل منهجيًّا، ولا كانت زاخرة بالمعرفة لتُسدي له يدًا جليلة.

فالنقد الأدبي الذي كُتب في هذا العصر مختلف من حيث النوع عن أي نقد سبقه، وسواء أسميناه «نقدًا جديدًا»، أو «نقدًا حديثًا» كما سمّاه كثيرون، أو «نقدًا عمليًّا»، أو «نقدًا عامِلاً»، فإن صلته الوحيدة بالنقد العظيم في العصور الماضية لا تعدو الصلة بين الخالف والسالف. فليس القائمون به أشدَّ ألمعية، أو أكثر تنبّهًا للأدب من أسلافهم؛ بل إنهم، في الحق، لا يتطاولون في هاتين الناحيتين إلى عمالقة النقد القديم، يونانيًّا وعربيًّا.

وقد ذهب الناقد الإنجليزي جون كرو رانسوم - الذي كان له أثر كبير في ترويج اصطلاح «النقد الجديد» لكتاب ألّفه بهذا الاسم - إلى أن الفرق في النوع بينه وبين النقد القديم قائم على أساس الدراسة المستقصية الحديثة لخصائص المبنى الشعري، كما ذهب إلى أن عصرنا هذا يتميّز تميّزًا غير عادي في النقد، وأن الكتابات النقدية

ium.usa.online@gmail.com www.ium.edu.so
+ 967 730053135 http://ium.usa.online

المعاصرة – من حيث عمقها ودقتها – قد فاقت جميع النقد القديم. وهذا كلام لا يعتوره الشك، ولكننا لا نستطيع أن نُمالق أنفسنا، فندّعي أن تفوّقنا إنما هو في سعة باع نقّادنا إذا قايَسْناهم بأسلافهم؛ كلا، بل من الواضح أن هذا التفوّق إنما يكمن في الأساليب والمناهج[1].

ففي متناول النقد الحديث ضروبٌ من المعرفة عن السلوك الإنساني، وفي جعبته تقنيات جديدة مثمرة، فإذا أمكن تركيز بعض هذا كله، وأمكن توحيد أعمال عدد من النقّاد، وبعث الانسجام فيما هو لامع مبدَّد منها – لأنها تجيء أحيانًا متأرجحة أو ناقصة – إذا أمكن ذلك كله، اتّسعت في مستقبل النقد دروبه ومَناظره، وانطلقت دراسات أدبية تحليلية جديّة من نوع يميّز عصرنا.

ولكن حتى حين ينزع الناقد الحديث إلى أن يتخصّص في أحد هذه العناصر النقدية الموروثة، فإنه يضع إلى جانبها عناصر أخرى غير موروثة، أو يُجريها مُعدَّلة تعديلاً عميقًا، بما أحرزه تطوّر العقل الحديث من مميّزات وخصائص؛ فيدخل في متاهات، ويدخل متلقّيه فيها .

وكان من آثار النهضة الحديثة في مصر والشرق العربي أن سلك دارسو الأدب العربي نفس المسالك التي انتهجها الغربيون

الباب الثاني : نشأة النقد الحداثي العربي ومصادره

يستعرض هذا المبحث مراحل دخول النقد الحداثي إلى العالم العربي، بدءًا من الترجمات الأولى، ومرورًا بتأثر النقاد العرب بالمناهج البنيوية والتفكيكية والأسلوبية وغيرها، ويبيّن كيف انقسم الخطاب النقدي العربي إلى تيارين: تيار اتباعي يلهث خلف الحداثة الغربية، وآخر تأصيلي يحاول التوفيق بين الوافد والأصيل.

يعرض هذا المبحث لأبرز النقاد الذين مثلوا تيار الحداثة في النقد العربي، أمثال: كمال أبو ديب، أدونيس، صلاح فضل، جابر عصفور، عبد السلام المسدي، يوسف سامي اليوسف وغيرهم، مع التعريج على مواقفهم وتوجهاتهم النقدية، والاختلافات الجوهرية بينهم.

1- عبد العزيز حمودة، المرايا المحدبة: من البنيوية إلى التفكيك.

ium.usa.online@gmail.com www.ium.edu.so
+ 967 730053135 http://ium.usa.online

يتناول عبد العزيز حمودة في ثلاثية النقدية ذ«المرايا المحدبة»، «المرايا المقعرة»، و«الخروج من التيه»—نقدًا عميقًا للحداثة النقدية العربية، مسلطًا الضوء على التبعية غير الواعية للنماذج الغربية في النقد الأدبي.

الباب الثالث:نقد الحداثة النقدية العربية:

يرى حمودة أن النقاد الحداثيين العرب اعتمدوا بشكل مفرط على المناهج الغربية مثل البنيوية والتفكيك دون تمثل خلفياتها الفلسفية والثقافية، مما أدى إلى تشويه النصوص العربية وإغراقها في الغموض والتعقيد .

1. الدعوة إلى نظرية نقدية عربية: يدعو حمودة إلى تأسيس نظرية نقدية عربية تنبع من التراث البلاغي العربي، مستشهدًا بأعمال عبد القاهر الجرجاني والجاحظ، ومؤكدًا على أهمية استعادة الهوية الثقافية في النقد الأدبي .
2. التحديات والانتقادات: واجه حمودة انتقادات من بعض النقاد الذين اعتبروا مشروعه انطباعيًا وقاسيًا في بعض الأحيان، إلا أنه دافع عن رؤيته بضرورة تبسيط النقد وجعله أكثر ارتباطًا بالواقع الثقافي العربي .

باختصار، تسعى ثلاثية حمودة إلى إعادة النظر في الأسس التي يقوم عليها النقد الأدبي العربي، من خلال نقد التبعية للمناهج الغربية والدعوة إلى تأسيس نظرية نقدية تنبع من التراث الثقافي العربي.

في تمهيده، يوضح إحسان عباس أن غايته من هذا الكتاب هي رسم صورة متكاملة للنقد الأدبي عند العرب منذ أواخر القرن الثاني الهجري حتى القرن الثامن، مستعرضًا ذلك في إطار زمني تطوري، يتقصّى فيه الحركة النقدية، صعودًا وهبوطًا، وتطورًا فكريًا لا شكليًا فقط .

وقد اتبع منهجًا شموليًا، لا يقتصر على النقاد التطبيقيين (كالآمدي وابن الأثير)، بل شمل أصحاب الرؤية النظرية (كالفارابي وابن سينا وابن خلدون)، محاولاً تتبع الأسس الفكرية التي وجهت النقد لدى

ium.usa.online@gmail.com www.ium.edu.so
+ 967 730053135 http://ium.usa.online

كل منهم. ويرى أن دراسة النقد لا تصح أن تبقى عند حدود الوصف أو التلخيص، بل ينبغي أن تبحث في خلفياته الفكرية والثقافية.

ويصرّح أن نقده للتراث النقدي العربي انطلق من إحساس بالحاجة إلى إعادة التقييم بعد اطلاعه على المؤلفات الحديثة، معتبرًا أن ما خلّفه الأسلاف يستحق إبرازه. كما يفرّق بين النقد السليم والنقد المتكامل من حيث المنهج، حتى وإن بني على تصورات خاطئة بمقاييس العصر. «فمنهج مثل الذي وضعه ابن طباطبا أو قدامة، قد يكون مؤسسًا على الخطأ... ولكنه جدير بالتقدير لأنه يرسم أبعاد موقف فكري غير مختل» (التمهيد، ص٦).

يفتتح عباس المقدمة برواية من كتاب الموشح تصف محاكمة نقدية بين أربعة شعراء، مبينًا من خلالها كيف أن الذوق والانطباع العام كان يحكم الحكم النقدي قبل نشوء النقد المنظم.

يشير إلى أن النقد العربي الأولي اتّسم بالانطباعية وعدم التحليل، إذ كان النقد تعبيرًا عن موقف شعوري كلي غير معلل. وهذا ما يجعل مرحلة ما قبل القرن الثالث الهجري مرحلة تذوق شفهي لا تنظير مكتوب.

ثم يؤكد أن النقد لا ينتظم إلا إذا توفر شرط أساسي هو الإحساس بالتغير والتطور، سواء في الذوق العام أو في القيم الاجتماعية والثقافية. ويرى أن الشفهية كانت من أهم أسباب تأخر تأسيس النقد المنهجي عند العرب[2].

وقد تناول بالنقد عدة شخصيات محورية:

الأصمعي: رغم إحساسه ببعض التغيرات، بقي نقده تقليديًا قائمًا على الثنائيات الثابتة (فحل / غير فحل، خير / شر)، ولم يتجاوز الرواية إلى التحليل.

ابن سلام الجمحي: اتجه إلى التوثيق والتمييز بين الأصيل والدخيل، وابتكر فكرة «الطبقات»، لكنه ظل حبيس النظرة الثابتة، ولم يهتم بالتعليل النقدي.

الجاحظ: مثّل نقلة نوعية؛ إذ وعى التغيرات الحضارية والفنية، ولاحظ

2- عبد الله الغذامي، الخطيئة والتكفير: من البنيوية إلى التشريحية.

ium.usa.online@gmail.com www.ium.edu.so
+ 967 730053135 http://ium.usa.online

صراع القديم والمحدث، متأثرًا بترجمة الثقافات الأجنبية، فهاجم الرواة ونادى بنقد أعمق.

«إن الجاحظ... كان يحس أنهم قصروا عن الوعي بالمفارقات الكبرى التي جدت في حياة الشعر والناس»

يرى إحسان عباس أن النقد الأدبي العربي تطور من أحكام ذوقية شفوية إلى تحليل فكري منظم، ولم يكن هذا التطور تلقائيًا، بل ارتبط بنمو التأليف والإحساس الحضاري بالتغيير. وقد حاول في هذا الكتاب إبراز البعد الفكري العميق للنقد العربي، لا الاكتفاء برصد آرائه.

ملاحظات منهجية من إحسان عباس:

لا يصح قياس النقد بمطابقته للمعايير المعاصرة، بل بمدى تكامل منهجه في زمنه.

حرص على نقل آراء النقاد بلغتهم الأصلية، ولم يترجمها إلى لغة نقدية حديثة إلا عند الضرورة [3].

يرى أن المقدمة ليست ملخصًا، بل نموذجًا لدراسات مستقلة في قضايا نقدية جزئية يمكن البناء عليها لاحقًا.

الخلاصة:

يتناول هذا الفصل تطور مفهوم الحداثة في النقد الأدبي، مركّزًا على انتقال النقد من الانطباعية إلى المنهجية في الغرب، وتأثير ذلك على النقد العربي. يعرض انقسام النقاد العرب بين مقلّدين للمناهج الغربية ومؤصّلين ينادون بنقد يستمد جذوره من التراث. يركّز على مشروع عبد العزيز حمودة الذي انتقد التبعية للنقد الغربي ودعا لنظرية نقدية عربية أصيلة. كما يستعرض جهود إحسان عباس في تتبع تطور النقد العربي من الذوق الشفهي إلى الفكر المنهجي، مؤكدًا على ضرورة فهم التراث النقدي ضمن سياقه التاريخي والثقافي.

3- عبد الله الغذامي، الخطيئة والتكفير: من البنيوية إلى التشريحية.

ium.usa.online@gmail.com www.ium.edu.so
+ 967 730053135 http://ium.usa.online

الفصل الثاني

الباب الأول: عبد العزيز حمودة ومشروعه النقدي

منهجه في نقد الحداثة

إنّ المنهج الفكري للدكتور عبد العزيز حمودة في كتاباته النقدية، ولا سيما في كتبه الأخيرة[٨]، يؤمن بوجود التحيز في الخطابات النقدية الغربية ومناهجها؛ فهي ليست محايدة أو موضوعية على نحو مطلق أو إنساني عالمي. وينطبق هذا التحيز على المعارف والنظريات والمشروعات والمدارس الناتجة عنها. ويؤكد د. حمودة أن النقد الحداثي لا يُعدّ حقائق علمية إنسانية عالمية لا تقبل الجدل، بل هو مجموعة من الطروحات والفرضيات والمفاهيم التي يمكن نقاشها والتحاور حولها (حمودة، ص ١٠٥).

فالحداثيون العرب يدّعون الجمع بين الأصالة والمعاصرة، وهو شعار يرفعونه باستمرار، إلا أنه - بحسب حمودة – خروج عن أسس الحداثة الغربية التي تقوم على القطيعة المعرفية مع الماضي. وفي حقيقته، لا يجمع هذا الموقف بين الأصالة والمعاصرة، بل يقرأ التراث العربي من منظور حداثي غربي منحاز[٩].

ينطلق منهجه من رؤية فكرية كلية للمعرفة، تنبثق عنها مفاهيم ثنائية يراها أساسية ومحورية في بنية مشروعه الفكري. وهذه الثنائيات تتداخل وتتقاطع وتتكامل، وتشمل: ثنائية الاختلاف والاتفاق، والثابت والمتغير، والاجتهاد والتقليد.

الغاية الأساسية التي يسعى إليها د. حمودة هي تقديم نظرية نقدية عربية تستند إلى ركيزتين جزئيتين: النظرية اللغوية العربية والنظرية الأدبية العربية. وهاتان الركيزتان تدلان بوضوح على نقطتين أساسيتين هما: النظرية والعربية؛ فـ«النظرية» هي الموصوف، و«العربية» هي الصفة الثانية بعد «النقدية» أو «اللغوية» أو «الأدبية». وقد حصرت صفة «العربية» في دلالتين:

1. انبثاق هذه النظرية من خصوصية الواقع العربي، بجوانبه الدينية

ium.usa.online@gmail.com www.ium.edu.so
+ 967 730053135 http://ium.usa.online

والاجتماعية والاقتصادية والسياسية والثقافية والأدبية والفكرية.

2. الانطلاق من التراث العربي في تأسيس أركان هذه النظرية، اعتمادًا على الجهود الفكرية للعقل العربي الإسلامي، ولا سيما في العصر الذهبي، بدءًا بالجاحظ وانتهاءً بحازم القرطاجني.

ويرى حمودة أن هذا التراث كان يمكن أن يتطور إلى مدارس لغوية ونقدية مكتملة النضج، لولا الانقطاع الحضاري من القرن الرابع عشر الميلادي حتى منتصف القرن التاسع عشر، ولولا موقف القطيعة الإرادية الذي اتخذه الحداثيون العرب تجاه هذا التراث، نتيجة انبهارهم بالعقل الغربي. وهو يرى أن العودة إلى التراث لا تهدف إلى تأكيد شرعية الحاضر الحداثي أو غير الحداثي، بل إلى تأصيل شرعية الماضي[4]. يعتبر د. حمودة أن الأخذ بالحداثة الغربية وتجلياتها النقدية نوع من الترف، بل من العبث الفكري، لم تنجح التبريرات المختلفة التي يقدمها النقاد الحداثيون العرب - كدعاوى الأصالة واستقراء التراث - في إنقاذه. فالحداثة الغربية أدّت إلى كسر ثقافي وثنائية فكرية عند العرب، استمرت حتى الهزيمة في حرب ١٩٦٧. ومع أن النصف الأول من القرن العشرين شهد تقدمًا علميًا واختيارًا واعيًا لبعض مؤثرات الغرب، إلا أن التعليم العربي تحول إلى عملية دمج قسري تهدد الهوية العربية.

الباب الثاني: تناول حمودة الحداثة الغربية من خلال ستة محاور نقدية:

1. المحاكاة والإبداع
2. اللغة والبلاغة كأدوات إبداع
3. الحقيقة والكذب
4. الانتحال

4- هناء الطريفي، «إشكالات الحداثة في مشروع عبد العزيز حمودة»، مجلة فصول للنقد

ium.usa.online@gmail.com www.ium.edu.so
+ 967 730053135 http://ium.usa.online

5. التقليد والموهبة
6. الشكل والمضمون

يركز في **المحور الأول على عبد القاهر الجرجاني**، [صاحب كتابي دلائل الإعجاز وأسرار البلاغة]، ويعده أحد مؤسسي النظرية الأدبية العربية. يرى حمودة أن البنيويين يستندون إلى نظريات لغوية لتحليل النصوص، ويؤكد وجود نظريات بلاغية عربية أصيلة ترتكز على تحليل بلاغة اللغة.

وقد سبق الجرجاني إلى ما يُعرف اليوم بـ«القراءة الوثيقة» (Close Reading)، القائمة على مبدأ «التماسك النصي» كمقياس لجودة الشعر. في حين ينسب هانس برتنس هذا النوع من القراءة إلى رجاردز وليويس في القرن العشرين.

يقول أرسطو إن الشعر «محاكاة لأفعال الإنسان» (أرسطو، ١٩٧٤)، ويفسر الجرجاني المحاكاة بأنها إبداع، يرى أن الشعر يرسم صورًا ذهنية، ويوافقه حازم القرطاجني الذي يرى أن الشعر «خطاب موزون مقفّى» يُنشئ صورًا ذهنية ويجسدها لغويًا (القرطاجني، ١٩٨١). فاللغة عندهما هي أداة الإبداع ومركز البناء الأدبي.

وهكذا، تُعد اللغة لدى حمودة جوهر الإبداع وأساس التحليل الأدبي، وهي ما يدفعه للربط بين مفاهيم البلاغة العربية والنظريات الغربية الحديثة، دون الانسياق وراءها.

ثانياً: سيرة مختصرة للمؤلف (عبد العزيز حمودة)

الدكتور عبد العزيز حمودة هو أكاديمي وناقد أدبي مصري بارز، يعد من المفكرين الذين لعبوا دورًا محوريًا في تجديد الخطاب النقدي العربي المعاصر، من خلال مشروعه النقدي الهادف إلى تأصيل نظرية نقدية عربية مستقلة تستمد جذورها من التراث البلاغي العربي، وتنتقد التبعية المطلقة للنقد الغربي.

ولد عبد العزيز حمودة في مصر، وتخرج في كلية الآداب، قسم اللغة الإنجليزية، ثم تابع دراساته العليا في الأدب الإنجليزي والنقد الحديث، حيث حصل على درجة الدكتوراه من إحدى الجامعات البريطانية، وهو ما أتاح له اطلاعًا مباشرًا على النظريات النقدية الغربية الحديثة من

ium.usa.online@gmail.com www.ium.edu.so
+ 967 730053135 http://ium.usa.online

مصادرها الأصلية.

شغل الدكتور حمودة العديد من المناصب الأكاديمية في مصر، أبرزها عمادة كلية الآداب بجامعة القاهرة، كما تولّى رئاسة قسم اللغة الإنجليزية فيها، وقد جمع في مسيرته بين التكوين الأكاديمي العميق باللغة الإنجليزية، والتواصل الواعي مع قضايا الثقافة العربية ومشكلاتها.

أهم ما يُميز عبد العزيز حمودة هو مشروعه النقدي الثلاثي الذي صاغه في كتبه الشهيرة:

1. المرايا المحدبة (١٩٩٨)

- في هذا الكتاب، قام بتشريح الخطاب النقدي الحداثي وما بعد الحداثي، ناقدًا البنيوية والتفكيكية، ومبرزًا ما فيها من تحيزات أيديولوجية وادعاءات كونية لا تخلو من الهيمنة الثقافية الغربية.

2. المرايا المقعرة (٢٠٠١)

- يعد الكتاب استكمالاً للمشروع السابق، حيث حاول فيه «وصل ما انقطع» – أي إعادة ربط القارئ العربي بتراثه النقدي والبلاغي، من خلال استدعاء مفاهيم الجرجاني، والقرطاجني، وغيرهما، ومحاولة مقارنتها بالنظريات الغربية لإثبات سبق التراث العربي إلى كثير من المفاهيم الحداثية.

3. الخروج من التيه (٢٠٠٣)

- يُمثل ذروة مشروعه، حيث سعى فيه إلى تقديم بديل نقدي عربي متكامل، يتجاوز الاستلاب الثقافي للغرب، ويؤسس لـ«هوية نقدية عربية» لا تنغلق على ذاتها، ولا تنساق بشكل ساذج خلف كل ما تنتجه المؤسسات النقدية الغربية.

ملامح شخصيته الفكرية:

- تميّز عبد العزيز حمودة بروح موسوعية قلّ نظيرها، حيث جمع بين الاطلاع العميق على البلاغة العربية الكلاسيكية، وفهمه الدقيق لمناهج النقد الغربي الحديث.
- دعا إلى ضرورة التحرر من التبعية الفكرية للغرب، والعودة إلى

ium.usa.online@gmail.com www.ium.edu.so
+ 967 730053135 http://ium.usa.online

التراث النقدي العربي لا باعتباره منجزًا مغلقًا، بل باعتباره نواة لمشروع نقدي حديث يستند إلى الخصوصية الثقافية العربية.

- رفض أن يكون النقد الحداثي بمثابة مرجعية مطلقة، ورأى فيه «مرايا محدبة» تشوّه الواقع ولا تعكسه بصدق.
- لم يكن ضد الحداثة من حيث المبدأ، وإنما ضد الحداثة المنقولة بعشوائية، والتي تقطع علاقتها بالتراث وتحاكي النموذج الغربي محاكاة عمياء.

وفاته وإرثه النقدي:

توفي الدكتور عبد العزيز حمودة سنة ٢٠٠٦، بعد أن ترك أثرًا بالغًا في الساحة الفكرية العربية. ويُعدّ اليوم أحد أهم رموز النقد الثقافي العربي في نهاية القرن العشرين ومطلع القرن الحادي والعشرين. وقد استمر تأثيره في الأوساط الأكاديمية، إذ تُدرّس كتبه على نطاق واسع، وتُعدّ مرجعًا رئيسًا في قضايا النقد والهو

ثالثاً : كتاب المرايا المحدبة: سياقه وإشكالاته

يحلل هذا المبحث كتاب المرايا المحدبة من حيث سياقه الثقافي والتاريخي، والأسئلة التي يطرحها حول النقد الحداثي العربي، ونقده للمفاهيم المركزية التي تبنّاها الحداثيون العرب. كما يناقش إشكالات المصطلح، والقطيعة المعرفية، وتغييب المرجع، كما يراها حمودة. النص الذي أرسلته يدور حول معركة «المرايا» بوصفها واحدة من أبرز المعارك النقدية في الساحة الثقافية العربية، ويبدو أنه جزء من مقال منشور في مجلة محكّمة. وإليك إعادة صياغة دقيقة ومنقحة مع التوثيق الكامل للمصدر الذي ظهر في نهاية النص.

في كتابه المرايا المقعّرة، يواصل عبد العزيز حمودة مشروعه النقدي الذي ابتدأه في المرايا المحدبة، محاولاً التأسيس لنظرية نقدية عربية تنبع من التراث البلاغي والنقدي العربي. ويضع لذلك فصلاً بعنوان «وصل ما انقطع»، يستعرض فيه رؤيته لقيام نقد عربي حديث من

ium.usa.online@gmail.com www.ium.edu.so
+ 967 730053135 http://ium.usa.online

داخل الثقافة العربية لا من خارجها.[5]

يرتكز حمودة على ثلاث مرتكزات فكرية أساسية:

أولاً، أن العقل العربي في تراثه النقدي والبلاغي قد أنجز تصورات تعادل ما وصلت إليه النظريات الغربية الحديثة.

ثانيًا، أن عدداً من الإشكاليات التي طرحتها النظريات المعاصرة قد عولجت مسبقًا ضمن الفكر النقدي العربي، سواء على مستوى النظر أو التطبيق.

ثالثًا، أن هناك تشابهًا منهجيًا بين النقدين العربي والغربي في اعتمادهما على تحليل اللغة والنصوص.

في سعيه لتأصيل نظرية نقدية عربية، يتناول حمودة ست قضايا مركزية يرى فيها إمكانيات تأصيلية:

1. **المحاكاة والإبداع:** يعتبر أن تصور الجرجاني للمحاكاة يتجاوز المفهوم الكلاسيكي، إذ يحتوي على رؤية متكاملة للعملية الإبداعية، تشمل الكاتب والمتلقي ووظيفة النص.
2. **اللغة كمادة للإبداع:** يُبرز حمودة أن البلاغة العربية أولت اللغة المجازية عناية كبيرة، بما يوازي انشغالات النقد الحداثي باللغة كوسيط جمالي لا كأداة مباشرة.
3. **الصدق والكذب الفني:** يقرأ آراء حازم القرطاجني بوصفها تعبيرًا عن مذهب جمالي ينظر إلى الصدق الفني من منظور مختلف عن الصدق الواقعي، وهو ما يلتقي مع مفاهيم الحداثة الجمالية.
4. **السرقات والتناص:** يقارن بين مفاهيم مثل «الاحتذاء» و«السرقة الشعرية» في التراث العربي، ونظرية التناص في النقد الغربي، مشيرًا إلى إمكانية تطوير هذه المفاهيم دون تحميلها المعاني السلبية التقليدية.
5. **الموهبة والتقاليد:** يعيد حمودة قراءة مفهوم «الطبع والصنعة» في ضوء التصورات الغربية حول «الموهبة والإبداع»، ليؤكد أن التراث العربي لا يعارض الحداثة بل يتقاطع معها في رؤى متعددة.

5- سهى عبد الله، مشروع عبد العزيز حمودة النقدي: قراءة تحليلية.

ium.usa.online@gmail.com www.ium.edu.so
+ 967 730053135 http://ium.usa.online

6. الشكل والمضمون: يستعرض الطرح البلاغي عند عبد القاهر الجرجاني حول العلاقة العضوية بين اللفظ والمعنى، بوصفه طرحًا متقدمًا على كثير من مفاهيم الشكلانية الغربية.

ومع أهمية هذا الطرح، يرى مصطفى أمزير أن ما يقدمه حمودة لا يرقى إلى مستوى «نظرية عربية متكاملة» بقدر ما هو عملية إعادة قراءة للتراث العربي من منظور نقدي حديث، تحاول التوفيق بينه وبين المفاهيم الغربية. لذا، فإن ما يطرحه حمودة لا يخرج - في الجوهر - عن أطر التحديث والتغريب، رغم ادعاء العودة إلى الأصول.

معركة «المرايا»: السياق والدلالات

شهدت الساحة الثقافية العربية في العقود الأخيرة من القرن العشرين اضطرابات فكرية ونقدية متشابكة، تراوحت بين الذاتي والموضوعي، وبين التجرّد والهوى. ومع كل ما شابها من قلق وتحول، فقد شكّلت هذه المعارك صورة صادقة عن روح العصر، بكل ما يحمله من تحوّلات.[6]

وفي خضم هذا الحراك، خمدت معظم تلك المعارك النقدية مع نهاية القرن العشرين، وشارفت على الموت، حتى وصفت بأنها قد دخلت «مرحلة الاحتضار»، لكنها عادت بقوة قبيل نهاية القرن بسنوات قليلة من خلال «معركة المرايا»، التي اعتبرها النقّاد «آخر المعارك النقدية الكبرى»، أو «معركة نهاية القرن».

وقد وصفها الناقد ماهر شفيق فريد عند صدور كتاب المرايا المقعّرة عام ٢٠٠١م، بقوله:

«هذا - بلا امتراء - كتاب العام، بل كتاب أعوام كثيرة قادمة، وفي تقديري أن الخصومة النقدية فيه قد أثرت الحياة الأدبية بزاد وفير، وأعادت الحراك إلى مياه راكدة كادت تتغير رائحتها بسبب طول السكون»

6- عبد العزيز حمودة، المرايا المحدبة: من البنيوية إلى التفكيك، الجزء الأول، ص 9، ط1، القاهرة: مكتبة الدار العربية للكتاب

ium.usa.online@gmail.com www.ium.edu.so
+ 967 730053135 http://ium.usa.online

دلالة التوقيت

وقعت هذه المعركة عند مغيب القرن العشرين، وامتدت مع مطلع القرن الحادي والعشرين، وهو توقيت بالغ الدلالة سياسيًا وثقافيًا. فعلى المستوى العالمي، كانت نهاية الحرب الباردة وسقوط الاتحاد السوفيتي، وهيمنة أمريكا، وتنامي الخطاب الثقافي عن «صدام الحضارات» و«نهاية التاريخ»، ثم جاءت أحداث ١١ سبتمبر ٢٠٠١م، فكانت بمثابة جرس إنذار لتحولات كبرى مقبلة، وهيمنت العولمة كقوة كاسحة تهدد الثقافات الهشة.

أما على الصعيد المحلي (المصري)، فقد جاءت المعركة بعد انقطاع طويل في المشهد الأدبي، أعاد للأذهان ذكريات معارك فكرية دارت في مطلع القرن العشرين بين أعلام مثل رشاد رشدي ومحمد مندور. وتزامنت كذلك مع لحظة تراجع تيارات اليسار الثقافي في مصر، وصعود تيارات أخرى متباينة.

أبعاد المعركة

لم تكن معركة «المرايا» مجرد سجال فكري ضيق، بل كانت معركة شاملة امتدت إلى قضايا التراث والحداثة، والهوية، والمرجعية، والمؤامرة الثقافية، والنقد الأدبي، والبحث الأكاديمي، وتجاوزت حدود الأدب لتطال الفكر والاجتماع والسياسة والأخلاق.

كتب فيها العديد من الأطروحات والمقالات والكتب، وانتشرت أصداؤها من المحيط إلى الخليج، فكانت أقرب إلى زلزال ثقافي لا تزال توابعه تتردد حتى اليوم.

الموقف من المناهج الغربية

طرح الباحثون في هذه المعركة موقفًا متوازنًا من المناهج النقدية الغربية، حيث أكدوا أن الرفض المطلق لها ليس حلًا، كما أن القبول المطلق لا يمكن أن يمنحها حيادًا مناسبًا في السياقات الحضارية المختلفة. وقد نُقل عنهم:

لسنا ندعو إلى أخذ جميع ما أفرزته الحضارة الغربية ونقله نقلًا أعمى

ium.usa.online@gmail.com www.ium.edu.so
+ 967 730053135 http://ium.usa.online

دون وعي بخصوصياتنا، بل نؤمن بضرورة الانفتاح الانتقائي الواعي، في ظل انفجار معرفي وسماوات مفتوحة»

واستشهد بعضهم بما نقله المؤرخ هيرودوت عن أحد ملوك الفرس، حين استدعى قومًا من الإغريق الذين اعتادوا حرق موتاهم، وسألهم عن الثمن الذي قد يجعلهم يأكلون آباءهم بدلاً من حرقهم، فأجابوا: «لا شيء على وجه الأرض يدفعنا لذلك»، ليضرب مثلًا على عمق التمسك بالهوية الثقافية وعدم الذوبان في الآخر.

الباب الثالث: منطلقات حمودة في «نقد النقد»

يركز هذا المبحث على تحليل أدوات حمودة في تفكيك الخطاب النقدي الحداثي، من حيث اعتماده على المرجعية التراثية، والرؤية المقارنة بين النقد العربي والغربي، وموقفه من التفكيك، ومن ثنائية «الذات/الآخر»، والبحث عن بديل نقدي يتناسب مع الخصوصية الحضارية العربية. [7]

إليك إعادة صياغة وتنسيقًا أكاديميًا لنصك حول «منطلقات عبد العزيز حمودة في نقد النقد»، ليكون ملائمًا للبحوث الجامعية أو المقالات الفكرية:

منطلقات عبد العزيز حمودة في «نقد النقد»

ينطلق الدكتور عبد العزيز حمودة في مشروعه النقدي من فكرة محورية تتمثل في الدعوة إلى تأصيل نظرية عربية في النقد الأدبي، تنبع من التراث العربي وتراعي الخصوصية الثقافية والحضارية للمجتمع العربي، في مواجهة هيمنة النماذج الغربية التي أصبحت المهيمنة على الفكر النقدي العربي المعاصر.

أولًا: نقد حمودة للبنيوية:

انصبّ نقد عبد العزيز حمودة للبنيوية الغربية على مجموعة من القضايا الجوهرية، من أبرزها:

7- عبد العزيز حمودة، المرايا المحدبة: من البنيوية إلى التفكيك، (القاهرة: عالم الكتب، ط3، 2001)

ium.usa.online@gmail.com www.ium.edu.so
+ 967 730053135 http://ium.usa.online

a. رفع أتباع البنيوية شعار «علمية النقد»، أي تطبيق مبادئ المنهج العلمي، واستخدام أدوات القياس والتجريب، وإعمال قوانين المنطق، بغية الوصول إلى درجة من الموضوعية في التعامل مع النص الأدبي، تقارب ما يُتّبع في الفيزياء والكيمياء.

إلا أن هذه الآمال ما لبثت أن خابت، بعدما تبيّن صعوبة تطبيق مناهج العلم الطبيعي على العلوم الإنسانية، إذ أدّت العلمية المنشودة إلى اختزال النص الأدبي، وتحويله إلى جداول معقدة ورسوم بيانية غريبة.

b. أثبت النموذج البنيوي صعوبة كبيرة في إنتاج نموذج موحّد يصلح لتحليل جميع الأجناس الأدبية. وقد أظهرت التجربة النقدية في السنوات القليلة التي شهدت المد البنيوي أن النموذج اللغوي، دون مبالغة، كان بمثابة مقتل المشروع البنيوي.

وقد أكّدت تجارب «العقد البنيوي» أن النموذج اللغوي المستخدم في دراسة اللغة لا يتوافق بالضرورة مع النسق الأدبي؛ إذ قد يلائم بعض الأجناس، مثل الأشكال السردية، دون غيرها كالشعر، وهذا ما يتنافى مع الضوابط العلمية التي تسعى إلى تقنين الظواهر وتوحيد نماذجها على جميع الأشكال.

بل إن البنيويين أنفسهم لم ينجحوا في الاتفاق على نموذج موحّد حتى عند تحليل الأشكال السردية، التي يُفترض أنها أكثر قابلية لكشف العلاقات بين الوحدات المشكلة للنسق..

يرى حمودة أن الخطاب النقدي العربي الحديث قد انبهر بالنماذج الغربية، فأصبح يعتمد بشكل شبه كلي على أدوات ومفاهيم مستوردة من السياقات الثقافية الغربية. ويعد هذا التبني الأعمى سببًا رئيسًا في تغريب النقد العربي وفصله عن جذوره الفكرية والثقافية.

1. دعوة إلى تأصيل نظرية عربية

يشدد حمودة على ضرورة بناء نظرية نقدية عربية متكاملة، تستمد قوتها من الموروث البلاغي والنقدي العربي، لا سيما في عصور ازدهار الفكر النقدي والبلاغي، مثل العصرين العباسي والأندلسي.

ium.usa.online@gmail.com www.ium.edu.so
+ 967 730053135 http://ium.usa.online

ويؤكد أن التراث العربي غنيّ بالمفاهيم القابلة للتحديث والتوظيف في الخطاب النقدي المعاصر.

2. استلهام التراث العربي

يقترح حمودة استلهام مفاهيم البلاغة العربية، مثل: البيان، والمعاني، والبديع، والخطابة، كأدوات فاعلة في تحليل النصوص الأدبية. كما يرى أن هذا التراث لا يقلّ أهمية أو عمقًا عن أي منظومة نقدية غربية، بل يفوقها أحيانًا في دقته واتساعه التأويلي.

3. ربط النقد بالواقع العربي

ينطلق حمودة من أن أي نظرية نقدية فاعلة يجب أن تكون متصلة بالسياق الاجتماعي والثقافي الذي تنشأ فيه. لذا، يدعو إلى أن يعالج النقد العربي قضايا الإنسان العربي المعاصر، ويستجيب لهمومه الثقافية والفكرية والاجتماعية.

4. نقد للحداثة الغربية والعربية

ينتقد حمودة الحداثة الغربية التي اجتثت النص الأدبي من جذوره الاجتماعية والدينية، كما يوجّه نقدًا لاذعًا إلى الحداثيين العرب الذين تبنّوا هذه الطروحات دون تمحيص، معتبرًا أنهم وقعوا في فخ «التحيّز اللساني الغربي»، وتناسوا خصوصية السياق العربي.

5. العقل العربي كمصدر للمعرفة النقدية

يرى حمودة أن العقل العربي التراثي قد تناول قضايا نقدية دقيقة سبق بها الكثير من القضايا التي تشغل الفكر النقدي الغربي المعاصر. ومن ثم، فإن العودة إلى هذا العقل لا تمثل رجعية، بل تمثل استثمارًا معرفيًّا في كنوز حضارية لم تُستنفد بعد.

6. نفي القطيعة مع الإبداع النقدي العربي

يؤكد حمودة أن الفكر النقدي العربي لم يكن خاليًا من الإبداع، بل أنتج نماذج نقدية أصيلة في عصور مختلفة، تتسم بالشمول والعمق. ويشدد على ضرورة إعادة قراءة هذا التراث من منظور معاصر قادر على تفعيل مفاهيمه

يرى عبد العزيز حمودة أن تجديد الخطاب النقدي العربي يبدأ من التحرر من التبعية للغرب، ويمر عبر الاستئناس بالتراث العربي وربط

ium.usa.online@gmail.com www.ium.edu.so
+ 967 730053135 http://ium.usa.online

النقد بالواقع المعيش، وينتهي ببناء نظرية نقدية عربية مستقلة، تعيد للنقد العربي مكانته ودوره في تشكيل الوعي الثقافي.

ثانياً: نقد حمودة للتفكيكية:

بدأ عبد العزيز حمودة عرضه للتفكيكية من خلال تصوير واقع النقد المعاصر في الغرب، الذي شابته الفوضى جرّاء سيطرة التفكيكية بوصفها صيغة من صيغ نظرية النص والتحليل. فقد رأى فيها منهجًا يخرّب (Subverts) كلَّ ما هو مستقر في التقاليد النقدية، ويشكّك في معظم المفاهيم الراسخة، مثل: العلامة، اللغة، السياق، النص، المؤلف، القارئ، دور التاريخ، عملية التفسير، وأشكال الكتابة النقدية، حتى بات هذا المشروع يُسقِط البُعد المادي، ويُنتج شيئًا غامضًا ومروّعًا.

وقد عبّر «هاوراد فلرن» (Haward Vlyrn) عن هذا التدهور بقوله: «التفكيكيون هم السبب الرئيس لأزمة الدراسات النقدية؛ إذ يتصوّرون أن المؤسسة الأدبية قد تحوّلت إلى كرنفال تختفي فيه الحدود والتقسيمات التي تميّز بين الشيء وضدّه، لتسودَ الفوضى، ويُمنح الطلبة درجات عالية مقابل سخريتهم المتقنة رغم جهلهم بأبسط الأمور البديهية.»

وقد تمثّلت أهم الانتقادات التي وجّهها عبد العزيز حمودة إلى التفكيكية فيما يلي:

a. **يرى حمودة أن التفكيك هو أحد تجليات ما بعد البنيوية**، وقد بُني على معارضة المسلّمات الراسخة، متكئًا على التشكيك وزعزعة اليقين، حتى بلغ حدّ الشك في قدرة اللغة على نقل الأفكار نقلاً موضوعيًّا.

وقد قاد هذا الشك إلى إنكار ثبات الدلالة أو القراءة؛ لأن العلاقة بين الدال والمدلول - وفق التفكيكيين – ليست ثابتة بل فيزيائية، إذ إن الدال في حالة دائمة من الغياب، والهروب، والإرجاء، والتناثر، بمعنى أن المعنى دائمًا مؤجّل.

وبناء على ذلك، لا توجد قراءة واحدة صحيحة للنص، بل توجد

ium.usa.online@gmail.com www.ium.edu.so
+ 967 730053135 http://ium.usa.online

قراءات لا نهائية، حيث تقود كل قراءة إلى أخرى، ما يُفضي في النهاية إلى انعدام المعنى.

b. النقد التفكيكي بين الإثارة والغموض:

يرى عبد العزيز حمودة أن النقد التفكيكي لا يقوم أساسًا على مرتكزات نظرية راسخة يسهل تلقيها وتطبيقها، كما كان الحال في «النقد الجديد»، بل يقوم في جوهره على مواقف استراتيجية استفزازية تروق للتفكيكي الأمريكي، المتسم بالنزعة الذاتية والميل إلى التفرّد أكثر من التأسيس النظري الصارم

ويُرجع حمودة بروز التفكيكية وشهرتها وسرعة انتشارها، خاصة في الساحة النقدية الأمريكية، رغم الرفض الذي قوبلت به، إلى قدرتها على إعادة صياغة المفاهيم التقليدية في قوالب جديدة، ما يُضفي عليها طابع الجِدة والإثارة. ويُضيف: «لكن هناك وسيلة ثانية، بل أكثر أهمية، يعتمدها التفكيك للحفاظ على صلاحيته، وهي صياغة الموضوعات بمصطلحات جديدة وغريبة، ما يجعل المواقف المألوفة تبدو غير مألوفة، وتظهر الدراسات المتصلة وكأنها متصلة.

وقد أكد هذا التوجّه الناقد جون إليس في كتابه (ضد التفكيك) (١٩٨٩م)، وهو أحد المراجع التي اعتمد عليها حمودة، حيث يثبت فيه أن كثيرًا من مفاهيم التفكيك كانت متداولة سابقًا لدى النقاد الجدد. فعلى سبيل المثال، مقولة «إحالة المعنى» التي طرحها جاك دريدا تحت اسم «ميتافيزيقا الحضور»، ليست جديدة، بل هي امتداد لمقولة «المغالطة القصدية» (Intentional Fallacy) التي تحدّث عنها ويم زات وبير دلسلي منذ عام ١٩٥٤م.

كما يأخذ إليس على التفكيكية شغفها باستخدام مصطلحات مبهمة وغير واضحة، في محاولة لإبهار القارئ وإقناعه بأن ما يُقال استثنائي وغير تقليدي. ويذهب إلى أن التفكيك ما هو إلا إعادة إنتاج لبعض المقولات الفلسفية الحديثة، لا سيما الظاهراتية وفلسفة التأويل، اللتين تحكمان الطرح التفكيكي في دراسة الأدب، وهو ما لطالما سعى إليه النقد الأدبي عمومًا، والبنيوية خصوصًا، للتحرّر منه[3].

ولم يكن الأدب العربي ولا النقد العربي بمنأى عن هذه الفوضى؛

ium.usa.online@gmail.com www.ium.edu.so
+ 967 730053135 http://ium.usa.online

إذ أُعجب الحداثيون العرب بالطرح الحداثي، وراحوا يُنظّرون لجدواه، مقتنعين بضرورة تبنّيه وتطبيقه في النقد الأدبي.

الخلاصة:

عبد العزيز حمودة يعتبر من أبرز النقاد العرب الذين سعوا إلى تأسيس نقد عربي حداثي مستقل، منطلقًا من التراث العربي الإسلامي، خصوصًا البلاغة العربية القديمة، كمصدر أساسي. مشروعه النقدي، الذي تمثّل في كتبه مثل «المرايا المحدبة»، شكل محاولة لقراءة الحداثة النقدية الغربية من منظور عربي، ودافع عن ضرورة اعتماد مرجعية تراثية أصيلة بدل الانصياع الكامل للنظريات الغربية.

مواجهة حمودة للنقد الحداثي الغربي تسببت في معركة ثقافية حادة داخل المشهد النقدي العربي، إذ اتُهم بالتشبث بالموروث والتقليل من أهمية التجديد، بينما هو يرى أن التراث العربي يحمل أدوات نقدية فعالة يمكنها تحديث النقد العربي دون انتحال نظريات غربية أجنبية.

مشروع حمودة النقدي رغم تأثيره الكبير، واجه تحديات وانتقادات من بعض التيارات الفكرية التي رأت في مشروعه محاولة للحفاظ على القديم، لكنه في النهاية يظل رائدًا في تأسيس مسار نقدي عربي حداثي يجمع بين الأصالة والمعاصرة، ويطرح أسئلة مهمة حول علاقة النقد العربي بتراثه وهويته.

ium.usa.online@gmail.com www.ium.edu.so
+ 967 730053135 http://ium.usa.online

الفصل الثالث

الباب الأول:نقد حمودة للحداثة الغربية:

أولاً: نقد الحداثة الغربية نفسها

يرى حمودة أن المشروعين البنيوي والتفكيكي كلاهما فشلا في تحقيق المعنى:

البنيويون انشغلوا بـ«آلية الدلالة» ونسوا «ماهية الدلالة»، وتحوّلوا إلى «سجناء للغة».

التفكيكيون نجحوا فقط في إنتاج «اللامعنى»، فهدموا كل شيء دون تقديم بديل مقنع.

«خلاصة الأمر، أن البنيوية والتفكيك انطلقا من رفض مشترك... وانتهيا إلى نفس المحطة النهائية. فالبنيويون فشلوا في تحقيق المعنى، والتفكيكيون نجحوا في تحقيق اللامعنى.» [8]

خيرة حمر العين تُؤكّد، كما يفعل علماء مثل عبد الله المسيري (في نقده للحداثة الغربية)، أنّ مصطلح «الحداثة» ليس مجرّد اسم، بل تعبّر عن مشروع فكري وثقافي له جذوره في العقلانية الأوروبية، ومرتكز على فرضيات معيّنة تجاه الإنسان والطبيعة والمجتمع .

وبالتالي، لأجل نقد الحداثة، لا يكفي رفض تأثيراتها في العالم العربي، بل لا بد من كشف مفاهيمها الكامنة، مثل الاعتقاد في مركزية الإنسان العقلاني ووجوب تحرير الطبيعة وتحويلها إلى مادة قابلة للسيطرة [9].

8- المرايا المحدبة، عبد العزيز حمودة، توفي سنة 2006م، لا يوجد رقم جزء، ص 15، لا يوجد محقق، الطبعة الثالثة، دار عالم المعرفة، القاهرة، مصر، 2001م.

9- جدل الحداثة في نقد الشعر العربي، تأليف خيرة حمر العين، وهي باحثة لم يثبت تاريخ وفاتها بعد، والكتاب غير مقسَّم إلى أجزاء، والمعلومة مقتبسة من الصفحة 176، دون وجود محقّق، وقد صدر في طبعته الأولى عن منشورات اتحاد كتاب العرب، في مدينة دمشق، بدولة سوريا، سنة 1996م.

ium.usa.online@gmail.com www.ium.edu.so
+ 967 730053135 http://ium.usa.online

ثانيًا: نقد النسخة العربية من الحداثة

وصف حمودة الحداثيين العرب بأنهم:

نقلوا الحداثة دون مقدماتها المنطقية، مكتفين بالمصطلحات دون السياقات التي وُلدت منها.

وقفوا طويلًا أمام «المرآة المحدبة» التي ضخّمت صورتهم ونفختها، فظنوا أنفسهم روّادًا ومبدعين بينما هم ناقلون في الحقيقة.

«فالحداثة في قلب التربة الثقافية الغربية خلقت أعداءها... فما بالنا بالنسخة العربية التي نقلت النتائج الأخيرة للفكر الغربي دون أن تكون لها مقدماته المنطقية؟» [10]

الحداثيين العرب سلكوا مسلك أسلافهم الغرب، فأرادوا الانقطاع عن مورثهم السامية وقيمهم الإسلامية وذلك دون وجه حق، لأنّ الموروث مقيد بالكتاب والسنة، فهم لم يلاحظوا الاختلاف الواضح بين البيئتين، ولم يستشعروا قيمة موروثهم، فكانت النتيجة أنهم قلّدوا الغرب تقليداً أعمى!

إنّ هؤلاء الحداثيين لم ينقادوا لتلك النصوص التي ما إن ينقاد لها المرء إلا وصار في راحة واطمئنان، بل أرادوا أن يفهموها وفق أهوائهم، واجتهدوا في أن يفسروها لمصلحة أفكارهم المسبقة التي اكتسبوها من ملهميهم (الغرب)، متجاهلين العلماء وأقوالهم في تلك النصوص، وقد تعدى أمرهم ذلك ليصلوه إلى بقية الناس، وهدفهم من كل ذلك هو تشكيك المسلم بعقيدته ودينه، زاعمين أنّ ذلك من ضروريات الحداثة التي يعيشها العالم [11]

الجدل بين الحداثة والمنهج الإسلامي

عرض للنقاش الدائر بين الحداثيين والرؤية الإسلامية التقليدية:

10- عبد العزيز حمودة، المرايا المحدبة: من البنيوية إلى التفكيك، الجزء الأول، ص 9، ط1، القاهرة: مكتبة الدار العربية للكتاب، 1998.

11- نقد المعتقد الحداثي المعاصر: من منظور الفكر الإسلامي، تأليف حسن رشيد، ولم يثبت تاريخ وفاته بعد (يُفترض أنه على قيد الحياة)، والكتاب غير مقسَّم إلى أجزاء، والمعلومة مأخوذة من الصفحة 12، دون وجود محقّق، وقد صدر في طبعته الأولى سنة 2023م، ولا توجد معلومات مذكورة عن دار النشر أو المدينة والدولة.

ium.usa.online@gmail.com www.ium.edu.so
+ 967 730053135 http://ium.usa.online

الحداثيون يحاولون تأويل النصوص بما يتناسب مع العقلانية الغربية.
المؤلف يرى أن هذا تقويض لعقائد الدين، ويتصدى له برفع الحجة عبر نصوص الحديث والقرآن وفق علم الأصول.

ثالثًا: التناقضات في الخطاب النقدي العربي الحداثي

حمودة يسرد أمثلة من كتابات النقاد العرب مثل كمال أبو ديب، جابر عصفور، حكمت الخطيب، هدى وصفي وغيرهم، ليُظهر:
تناقضهم في تطبيق مفاهيم البنيوية والتفكيك.
استخدامهم للغموض المتعمد والتجريد الاصطلاحي من دون حاجة حقيقية .

- مثال: «لم أتوقف كثيرًا عند نغمة الادعاء المبالغ فيه من كمال أبو ديب... يقول إنه يطوّر منهجًا نقديًا يتجاوز ما أنجزه الفرنسيون...» [12]

في كتابه «نقد النقد»، يشير الدكتور دسوقي إلى أن التناقضات في الخطاب النقدي العربي الحداثي تنبع أساسًا من محاولة الدمج بين التقاليد النقدية العربية القديمة، التي تركز على الجانب البلاغي واللغوي، وبين المناهج النقدية الغربية الحديثة التي تركز على القضايا الاجتماعية والسياسية والنفسية. هذه المحاولة تؤدي إلى صراع داخلي في الخطاب النقدي، حيث لا يتمكن الناقد العربي من الانفصال التام عن التراث، وفي نفس الوقت يواجه صعوبة في استيعاب الأدوات الجديدة بشكل كامل. [13]

رابعًا: الحداثة العربية كاستجابة نفسية للهزيمة

يربط حمودة ظهور الحداثة العربية بأجواء ما بعد هزيمة ١٩٦٧، وبشعور الإحباط والانسحاق أمام الغرب، حيث رأى أن:
الحداثة العربية وُلدت من «حالة انبهار وعجز».

12- عبد العزيز حمودة، المرايا المحدبة: من البنيوية إلى التفكيك، ط3، القاهرة: عالم المعرفة، 2001، ص 15-16.

13- إبراهيم دسوقي، «نقد النقد: قراءة في النقد الحداثي»، دار هنداوي، الطبعة الأولى 2015، ص 45-47

ium.usa.online@gmail.com www.ium.edu.so
+ 967 730053135 http://ium.usa.online

أصبحت تعبيرًا عن «اللا جدوى» والقطيعة مع التراث، لا عن إبداع حقيقي .

❖ «كانت الحداثة في الثقافة العربية محاولة للبحث عن شرعية المستقبل بعد أن فقد الماضي شرعيته...» [14]

خامساً:دعوته لحداثة» أصلية «لامستنسخة

ينتهي حمودة إلى أنه ليس ضد الحداثة كمبدأ، بل ضد استيرادها المشوّه:

دعا إلى «حداثة حقيقية» تهدم الجمود وتحقق الاستنارة.

لكنه يرفض أن تكون «نسخة مشوّهة من الحداثة الغربية».

❖ «نحن فعلاً بحاجة إلى حداثة حقيقية تهز الجمود... لكنها يجب أن تكون حداثتنا نحن، لا نسخة شائهة من الحداثة الغربية.» [15]

التأكيد على ضرورة تأسيس نهج نقدي حداثي ينبع من خصوصية الثقافة واللغة العربية، لا نقلاً أعمى لمناهج نقدية غربية طُبِّقت في سياقات مختلفة عن الواقع العربي.

وضمن سياق الكتاب، يوضح المؤلف هذه الرؤية في التقديم، حين يبيّن أن التعاطي النقدي الحداثي في العالم العربي مرّ بثلاث مراحل: نقل المعرفة، إنتاج هذه المناهج وتكييفها مع النص العربي، ثم نقدها وإعادة صياغتها ضمن خصوصية ثقافية عربية . فهو لا يصف الحداثة الغربية بأنها كيان مكتمل يُعاد إنتاجه في العالم العربي، بل يمتلك مؤشرات التناسب مع بنية النص العربي، ويجب أن يُبنى عليها بالتأصيل الذاتي. [16]

14- عبد العزيز حمودة، المرايا المحدبة: من البنيوية إلى التفكيك، ط3، القاهرة: عالم المعرفة، 2001، ص 24.

15- عبد العزيز حمودة، المرايا المحدبة: من البنيوية إلى التفكيك، ط3، القاهرة: دار سعاد الصباح، 1998، ص 10.

16- دسوقي إبراهيم، نقد النقد: قراءة في النقد الحداثي، مقدمة ص. 11 (الطبعة الأولى، 2022، مؤسسة هنداوي).

ium.usa.online@gmail.com www.ium.edu.so
+ 967 730053135 http://ium.usa.online

الباب الثاني :تفكيك المفاهيم الغربية (المرآة المحدبة،مرآة الكسر)

في كتاب «المرايا المحدبة: من البنيوية إلى التفكيك» للدكتور عبد العزيز حمودة، يقوم المؤلف بتفكيك المفاهيم الغربية من خلال منهج نقدي صارم، مبرزًا الفرق الجوهري بين الواقع الثقافي الغربي الذي أفرز تلك المفاهيم وبين الواقع الثقافي العربي الذي نقلها غالبًا دون تمحيص. يركّز حمودة على صورتين محوريتين: المرآة المحدبة ومرآة الكسر، مستخدمًا إياهما كاستعارتين نقديتين لعرض موقفه من الحداثة الغربية ومناهجها. إليك شرحًا مفصلاً لما ورد في الكتاب مع الصفحات:

أولًا:المرايا المحدبة كاستعارة نقدية

يوضح حمودة أن المرآة المحدبة تُستخدم لتكبير الصور وتزييف حقيقتها. وهي - برأيه - تمثل الطريقة التي تُقدَّم بها المناهج النقدية الغربية (وخاصة البنيوية والتفكيك) في العالم العربي؛ حيث يتم تضخيمها دون إدراك لسياقاتها الأصلية، مما يؤدي إلى تزييف الواقع النقدي العربي.[17]

يقول: «المرايا المحدبة تقوم بتكبير كل ما يوجد أمامها وتزيفه حسب زاوية انعكاسه... إنها تبالغ في حقيقة الشيء وتزييف حجمه الطبيعي.»[18]

في كتابه «نقد النقد: قراءة في النقد الحداثي»، يورد دسوقي إبراهيم تناولاً لعمل الناقد عبد العزيز حمودة «المرايا المحدبة» كدراسة في نقد النقد، يُنظر إلى استعارة "المرآة المحدبة" كنموذج نقدي يعكس تمددًا في الرؤية النقدية.[19]

17- حمودة، عبد العزيز. المرايا المحدبة: من البنيوية إلى التفكيك. القاهرة: دار الشروق، الطبعة الأولى، 2001، ص. 35-42.

18- حمودة، عبد العزيز. المرايا المحدبة: من البنيوية إلى التفكيك. ط1، القاهرة: دار سعاد الصباح، 1998، ص6.

19- دسوقي إبراهيم، نقد النقد: قراءة في النقد الحداثي، مؤسسة هنداوي، 2022، ص. 10

ium.usa.online@gmail.com www.ium.edu.so
+ 967 730053135 http://ium.usa.online

ثانياً: مرآة الكسر / المرآة المشروخة

في القسم المتعلق بـ التفكيك والرقص على الأجناب، يشير حمودة إلى أن المشروع التفكيكي يشبه مرآة مكسورة لا تعكس حقيقة موحدة، بل مجموعة من الصور المتشظية والمتناقضة، إذ «كل قراءة هي تفكيك للقراءات السابقة» و«كل تفكيك يفتح نفسه أمام تفكيك آخر». [20]

ثالثاً: نقد المفاهيم الغربية والتفكيك

يبين حمودة أن المناهج كـ«التفكيك» هي استجابة طبيعية لواقع فلسفي وثقافي غربي خاص، ولا يمكن نقلها كما هي إلى الواقع العربي دون خلق فجوات دلالية وثقافية.

يشبّه ذلك بتزييف الواقع العربي عبر «المرايا المحدبة» التي «تزيف واقعًا أقل حجمًا وأكثر تواضعًا». [21]

رابعاً: استحالة النقل الحرفي للمفاهيم

يرى حمودة أن نقل مصطلحات الحداثة الغربية - كـ«اللعب الحر للدال» و«لا نهائية الدلالة» - يؤدي إلى فوضى دلالية في السياق العربي، لأنها وُلدت من بيئة ثقافية وفلسفية غير تلك التي نعيشها.

خامساً:نقد القراءة التفكيكية

التفكيك، بحسب حمودة، يُنتج قراءة لا نهائية، تُفكك ذاتها، وتستعصي على الحسم. ولذلك فهي تشبه نصًا «يشبه الكرنفال والجسم الغريب الذي لا يكتمل»، كما يسخر من استخدام لغة التفكيكيين بقوله إنها «لغة كهنوت سرية محدودة التداول». [22]

20- حمودة، عبد العزيز. المرايا المحدبة: من البنيوية إلى التفكيك. ط1، القاهرة: دار سعاد الصباح، 1998، ص269.

21-

22- عبد العزيز حمودة، المرايا المحدبة: من البنيوية إلى التفكيك، ط3 (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 2001)، ص 337-338.

ium.usa.online@gmail.com www.ium.edu.so
+ 967 730053135 http://ium.usa.online

سادساً: المرآة المحدبة مقابل المرايا الأخرى

يقدم مقارنة بين أنواع المرايا:

المرآة العادية: تعكس الواقع كما هو.

المرآة المقعّرة: تصغّر الأشياء.

المرآة المحدبة: تكبّر الأشياء وتزيّفها.

المرآة المتوازية: توهم بوجود صور لا نهائية.

يرى أن النقاد الحداثيين العرب وقفوا أمام «المرآة المحدبة» فرأوا أنفسهم مضخّمين دون وعي بذلك الزيف.

خلاصة الفكرة:

يرى عبد العزيز حمودة أن «المرآة المحدبة» تمثّل الاستعارة النقدية التي تصف كيف نُقِلَت المناهج النقدية الغربية إلى الثقافة العربية، حيث تم تضخيمها على نحو غير واقعي، مما شوّه صورتها ومفعولها. أما «المرآة المشروخة» أو الكسر، فهي تمثيل لحالة النقد التفكيكي الذي يفتقد الثبات والاتساق.[23]

في مقابل المرآة المحدبة، التي توسّع نطاق الرؤية وتأخذ في كل الاتجاهات، نجد أن المرآة الأخرى (الماهية/المقعّرة) تضيق المناقشة وتختزل الزوايا التأويلية...»[24]

الباب الثالث:موقف حمودة من البنيوية، التفكيكية _ السيمائيات

أولًا:موقف حمودة من البنيوية

يرى حمودة أن البنيوية - رغم طموحها العلمي - وقعت في سجن اللغة، فهي:

اعتمدت على النموذج اللساني (خصوصًا نموذج دي سوسير)، ففصلت

23- حمودة، عبد العزيز. المرايا المحدبة: من البنيوية إلى التفكيك. القاهرة: دار الشروق، 2001، ص 35-42.

24- خيرة خمر العين، جدل الحداثة في نقد الشعر العربي، دمشق: منشورات اتحاد الكتاب العرب، 1996، ص175

ium.usa.online@gmail.com www.ium.edu.so
+ 967 730053135 http://ium.usa.online

العلامة عن المرجع الخارجي.
فشلت في تحقيق الدلالة، لأنها اهتمت بآلية عمل اللغة أكثر من اهتمامها بما تعنيه.
أصبحت تتحرك دائريًا: من النص إلى النسق ثم تعود من النسق إلى النص، دون إضافة حقيقية.
أُعجبت بالتنظيم الصارم للغة لدرجة أنها أغفلت دور القارئ أو السياق الخارجي، وهو ما أدى إلى فقدان المعنى لصالح «علمية» شكلية.[25]
دسوقي إبراهيم يقف موقفًا متوازنًا من البنيوية: يثني على قوتها التحليلية، لكنه يعيد تشكيلها بوعي عربي وتأصيلي، بتكييفها لتستوعب السياق الثقافي، والانفتاح على التراكيب الخارجية دون التفريط في صرامة النص.[26]

ثانياً: موقف حمودة من التفكيكية

يرى حمودة أن التفكيك (ممثلًا في جاك دريدا ومدرسته):
رفض تمامًا علمية البنيوية، وتبنى مبدأ «اللانهائية في المعنى»، فلا وجود لحقيقة واحدة أو مركز ثابت للنص.
اعتبر كل تفسير للنص مجرد «إساءة تفسير»، وبالتالي فهو لا يقدم بدائل واضحة، بل يهدم كل الثوابت.
لغة التفكيك - كما يقول - تتسم بـ«الراوغة» و«الغموض المتعمد»، وتجعل القارئ في حيرة دائمة.
كما أن التفكيكيين لفتوا الانتباه للغة النقدية نفسها بدلاً من النص الأدبي، أي جعلوا الناقد في مركز اللعبة بدلاً من الكاتب.[27]

25- عبد العزيز حمودة، المرايا المحدبة: من البنيوية إلى التفكيكية، ط1 (القاهرة: دار سعاد الصباح، 1998)، ص155-160.

26- دسوقي إبراهيم، نقد النقد: قراءة في النقد الحداثي، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 2005، ص. 103-105.

27- عبد العزيز حمودة، المرايا المحدبة: من البنيوية إلى التفكيك، ط4 (القاهرة: مكتبة الدار العربية للكتاب، 2003)، ص 253-260.

ium.usa.online@gmail.com www.ium.edu.so
+ 967 730053135 http://ium.usa.online

ثالثاً: موقف حمودة من السيمائيات

يربط حمودة السيمائيات بالبنية البنيوية، خصوصًا في اعتمادها على العلامة كعنصر مستقل عن المرجع.

ينتقد السيمائيات لكونها تعقّد التفسير بتركيزها على النسق المغلق للعلامات داخل النص دون النظر إلى السياق التاريخي أو المرجعي أو التلقي.

يضعها ضمن المشروع الحداثي الذي يرى أنه أنتج «لغة مغلقة على ذاتها»، وجعل المعنى متعذرًا أو مؤجلًا إلى ما لا نهاية

الخلاصة:

يرى عبد العزيز حمودة أن كل من البنيوية والتفكيكية والسيمائيات وقعت في فخ ما يسميه بـ«المرايا المحدبة»، أي أنها قدّمت صورًا مزيفة للواقع الأدبي والفكري، مضخّمة، مشوهة، ومعزولة عن السياق الثقافي العربي.

إذا رغبت، يمكنني تلخيص هذه المواقف في جدول مقارن أو صياغة نص تحليلي موسع قابل للاستخدام في بحث أكاديمي.[28]

الباب الرابع: نقد حمودة لتلقي هذه التيارات عربياً

أولًا: التلقي العربي للحداثة: النسخة المشوّهة

أ - الانبهار والانغلاق النخبوي

حمودة يصف كيف تلقى النقاد العرب الحداثة بنوع من الانبهار العاجز، حتى بدا النقد الحديث وكأنه «نادي نخبة النخبة»، مغلقًا على غير المتخصصين، بفضل غموض المصطلحات والتراكيب النحتية والترجمات غير الدقيقة.

◈ «لقد أعمانا هذا البريق عن حقائق كثيرة أبرزها المراوغة المقصودة

28- عبد العزيز حمودة، المرايا المحدبة: من البنيوية إلى التفكيك، (القاهرة: سلسلة عالم المعرفة، 1998)، ص. 235 وما بعدها.

ium.usa.online@gmail.com www.ium.edu.so
+ 967 730053135 http://ium.usa.online

والغموض المتعمد...» [29]

يبيّن رشيد أن الحداثيين العرب (بمن فيهم «الحداثيون المقلدون») قد ورثوا صورة معطوبة من الحداثة تقوم على تقليد الغرب بلا نقد، فحولوا الحداثة من حركة عقلانية واجتماعية إلى نسخة كربونية من الغرب لا مراعاة فيها للخصوصية العربية . [30]

ب - الحداثة المستوردة دون مقدمات

النسخة العربية من الحداثة، كما يراها، هي نقل للنتائج النهائية للفكر الغربي، دون المرور بمقدماته التاريخية والفلسفية:

- «الحداثة في قلب التربة الثقافية الغربية خلقت أعداءها... فما بالنا بالنسخة العربية التي نقلت النتائج الأخيرة للفكر الغربي دون أن تكون لها مقدماته المنطقية.» [31]

الحداثة عند النقاد العرب المحدثين هي: "مذهب يسعى لهدم كل موروث والقضاء على كل بصمة ولكل جديد" [...] يقول سامي مهدي: "الحداثة العربية غربية مصطلحًا ومفهومًا، ومهما قيل عن كونها (مناخًا عالميًا) أو (جوهرا زمانيًّا)، فإننا يجب أن نعترف بأن الغرب هو الذي وضع المصطلح و... حدّد مفهومه» [32]

ثانياً:نقد مفصل لأهم الأسماء الحداثية العربية

أ - كمال أبو ديب

انتقد حمودة مشروع أبو ديب البنيوي، واعتبر أنه مشحون بادعاء التجاوز والتفوق على النموذج الفرنسي، رغم أن تطبيقاته تميل إلى الغموض واللوغاريتمات:

- «لم أتوقف كثيرًا عند نغمة الإدعاء المبالغ فيه من جانب كمال أبو ديب... ولكني توقفت كثيرًا عند لوغاريتماته كلها...» [33]

29- عبد العزيز حمودة، المرايا المحدبة: من البنيوية إلى التفكيك، ط3، (القاهرة: عالم الكتب، 1998)، ص 6.

30- حسن رشيد، نقد المعتقد الحداثي المعاصر، [المكان: دار النشر، سنة النشر]، ص. 87:

31- عبد العزيز حمودة، المرايا المحدبة: من البنيوية إلى التفكيك، ط3، (القاهرة: عالم الكتب، 1998)، ص 9.

32- خيرة حمر العين، جدل الحداثة في نقد الشعر العربي، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، الطبعة الأولى، 1997 (أو 1996 بحسب بعض المراجع)، ص 38-39.

33- عبد العزيز حمودة، المرايا المحدبة: من البنيوية إلى التفكيك، ط3، القاهرة: عالم المعرفة، 2001، ص 15.

ium.usa.online@gmail.com www.ium.edu.so
+ 967 730053135 http://ium.usa.online

ب - جابر عصفور

يرى أن تعريفات جابر عصفور للحداثة شديدة العمومية وغامضة، ولا تضيف جديدًا:

◈ «إذا كانت الحداثة هي الإبداع بهذه العمومية، فلم إذن كل هذه الضجة التي يثيرها الحداثيون العرب؟»

وهو يرفض أيضًا ما سماه بـ«القطيعة المعرفية» التي ينادي بها بعض الحداثيين:

◈ «دعوى الأصالة والمعاصرة التي يرددها الحداثيون تفقد معناها تمامًا إذا أُقرت القطيعة المعرفية مع التراث.»

ثالثاً: إشكالية المصطلح وترجمة الفكر

حمودة يرى أن المفاهيم الحداثية الغربية فقدت دقتها حين تُرجمت إلى العربية، بسبب:

الترجمة غير المنضبطة.

النحت المصطلحي الغريب.

محاولة تطبيق مفاهيم نقدية مرتبطة بسياقات غربية على نصوص عربية دون تعديل.

◈ «أُستخدم مصطلح نقدي يجمع بين غرابة النحت وغربة النقل إلى لغة جديدة!»

رابعاً: البنيوية والتفكيك: فشل في تحقيق المعنى

يرى حمودة أن البنيوية انشغلت بالآلية وأهملت الماهية، والتفكيك ألغى المعنى نفسه:

◈ «البنيويون فشلوا في تحقيق المعنى، والتفكيكيون نجحوا في تحقيق اللامعنى.» [34]

ويشير إلى أن النقاد العرب وقفوا أمام هذه «المرآة المحدبة» وصدقوا صورهم المشوهة فيها:

◈ «لقد صدقوا صورهم في المرآة المحدبة... وهذا هو موضوع

34- مكرر ص15

ium.usa.online@gmail.com www.ium.edu.so
+ 967 730053135 http://ium.usa.online

الدراسة.»

خامساً: دعوة إلى حداثة أصيلة

في ختام نقده، لا يرفض حمودة الحداثة من حيث المبدأ، بل يدعو إلى حداثة عربية تنطلق من حاجاتنا وظروفنا:

- «نحن فعلًا بحاجة إلى حداثة حقيقية... لكنها يجب أن تكون حداثتنا نحن، وليست نسخة شائهة من الحداثة الغربية.»[35]

الخلاصة:

يرى عبد العزيز حمودة أن الحداثة الغربية عبر البنيوية والتفكيك فشلت في تحقيق معنى حقيقي، حيث انشغلت الأولى بآليات اللغة والثانية بهدم المعنى دون بديل. وانتقد النسخة العربية من الحداثة لنقلها المصطلحات الغربية دون فهم أو سياق، ما أدى إلى تقليد أعمى وتخلي عن الموروث الإسلامي والثقافي. ربط ظهور الحداثة العربية بحالة إحباط بعد هزيمة ١٩٦٧، ودعا إلى حداثة أصيلة تنطلق من خصوصية الثقافة العربية، لا نسخة مشوهة من الغرب. استعان باستعارة «المرآة المحدبة» لتبيان التضخيم والتشويه في النقل، ورفض تفكيك المعنى والفوضى الدلالية التي سببتها المناهج الغربية. في النهاية، طالب بنقد حداثي عربي أصيل ينسجم مع ثقافتنا وهويتنا.

35- عبد العزيز حمودة، المرايا المحدبة: من البنيوية إلى التفكيك، القاهرة: عالم الكتب، 1998، ص 9.

ium.usa.online@gmail.com www.ium.edu.so
+ 967 730053135 http://ium.usa.online

الفصل الرابع

الباب الأول: الرؤية النقدية لحمودة ومواطن الاختلاف

أولًا: موقفه من الحداثة:

حمودة يرى أن الخطاب الحداثي العربي يعاني من تضخم زائف نتيجة انعكاسه في «مرآة محدبة»، تعكس الواقع بصورة مبالغ فيها ومشوّهة، وهذه الاستعارة البصرية تشكّل محور الكتاب.

يعتبر أن الحداثة العربية نسخة مشوّهة عن الحداثة الغربية، نقلت النتائج دون مقدمات منطقية أو سياق ثقافي ملائم [36]

ثانياً: خطاياه «النقدية» كما يسميها:

المعصية الأولى: تبسيط المعرفة النقدية عن قصد لكشف الغموض المتعمّد في خطاب الحداثيين، وخاصة البنيويين والتفكيكيين، متّهمًا إياهم بإقصاء العامة واحتكار الفهم النقدي داخل «نخبة النخبة».

المعصية الثانية: نقد المشروع الحداثي نفسه، وكشف كيف خدعت «المرآة المحدبة» النقاد العرب وجعلتهم يظنون أن ما يرونه هو الحقيقة بينما هو تشويه.

ثالثاً: نقد البنيوية والتفكيك:

البنيوية: يعتبرها سجنًا لغويًا، انشغلت بآلية الدلالة وتجاهلت معناها، وتحولت إلى مشروع فشل في «إنارة النص» كما وعدت.

التفكيك: استبدلت بمعيارية النقد الفوضى الكاملة في المعنى، حيث لا توجد حقيقة ثابتة، ولا مركز، وانتهت إلى «اللامعنى».

مواطن الاختلاف الأساسية في رؤيته:

- **رفض النقل دون وعي:**

يرفض النقل الحرفي للنظريات الغربية دون سياقها، ويعتبر هذا

36- مكرر

ium.usa.online@gmail.com www.ium.edu.so
+ 967 730053135 http://ium.usa.online

خيانة معرفية.

✦ **التأكيد على الهوية الثقافية:**

يدعو إلى حداثة أصيلة نابعة من حاجات الواقع العربي، لا تقليدًا للغرب.

✦ **نقد اللغة الحداثية:**

ينتقد الغموض والمراوغة في لغة الحداثيين العرب، ويرى فيها تعمّدًا للغموض لإضفاء هيبة زائفة على النقد.

✦ **الدعوة إلى إنارة النص لا إخفائه:**

يرى أن وظيفة الناقد يجب أن تكون «إنارة النص» وتوضيح دلالاته للقارئ، وليس تعقيده أو حجب معناه خلف لغة مراوغة.

الباب الثاني: هل قدم حمودة بديلًا أم مجرد تفكيك ؟

أولًا: التفكيك والنقد للخطاب الحداثي (جانب الهدم)

حمودة بدأ مشروعه النقدي من موقع الرفض لما أسماه بـ«الاستلاب المعرفي»، الذي أصاب النقاد العرب الذين تبنّوا المفاهيم والمناهج الغربية دون تمثل حقيقي لها. في «المرايا المحدبة»، قدّم نقدًا تفصيليًا للخطاب النقدي العربي الحديث، وبيّن كيف تم تبنّي المصطلحات الغربية (مثل البنيوية، والتفكيكية، والسيميولوجيا...) بطريقة مبتسرة ومشوّهة.

يبيّن مثلًا أن الحداثيين العرب ترجموا المصطلحات دون إدراك خلفياتها الفلسفية والمعرفية، ما أدى إلى قطيعة معرفية مع التراث النقدي العربي، وخلق نصًا نقديًا منغلقًا ومبهَمًا.

◈ «ليس ما يعنينا في هذا الكتاب أن ننفي مشروعية الاستفادة من المناهج الغربية... ولكنّ الاعتراض كله ينصب على سوء الفهم الذي صاحب النقل والترجمة، وعلى الغفلة عن الخلفيات المعرفية لهذه المناهج.» [37]

37- عبد العزيز حمودة، المرايا المحدبة: من البنيوية إلى التفكيك، (القاهرة: دار سعاد الصباح، 1998)، ص. 18.

ium.usa.online@gmail.com www.ium.edu.so
+ 967 730053135 http://ium.usa.online

ثانيًا: المشروع البديل (جانب البناء)

على الرغم من أن الكتاب يغلب عليه الطابع النقدي، إلا أن حمودة لا يكتفي بنقض الحداثة، بل يدعو إلى إعادة بناء النقد العربي على أسس تجمع بين الأصالة والمعاصرة. أي أنه يقترح مشروعًا نقديًا يقوم على:

1. التمثل الواعي للمناهج الغربية – لا النقل الأعمى لها.
2. إحياء التراث النقدي العربي من خلال قراءة معاصرة له.
3. العودة إلى مركزية المعنى في العمل الأدبي، خلافًا للطرح الحداثي الذي يضع «اللغة» في مركز النص.

- «المطلوب أن نتحرك من خلال مشروع نقدي يحاول أن يحقق التوازن بين الذات والآخر، وبين التراث والمعاصرة، وبين الشكل والمضمون.»
- «إن الاتجاه نحو بناء مرجعية معرفية عربية في حقل النقد الأدبي لا يعني القطيعة مع الآخر، بل يعني امتلاك الوعي النقدي اللازم للتعامل معه.» [38]

عبد العزيز حمودة قدّم مشروعًا بديلًا ولم يكتفِ بالتفكيك، يتمثل هذا البديل في دعوة واضحة إلى:

- استيعاب المناهج الغربية ضمن مرجعية عربية.
- تأسيس خطاب نقدي عربي مستقل ومتماسك.
- استعادة مركزية المعنى، والتمسك بالبعد المعرفي للنقد.

الباب الثالث: الموقف من المركزية الغربية في الخطاب النقدي:

أولًا: ماهية المركزية الغربية:

يوضح حمودة أن المركزية الغربية هي الاعتقاد الضمني بتفوّق المنجز الثقافي والفكري الغربي، وتقديمه كنموذج عالمي شامل. يرى أن الخطاب النقدي العربي وقَع في فخ هذه المركزية حينما تبنّى النظريات الغربية دون مساءلتها، مثل البنيوية، التفكيكية، ونقد ما

38- عبد العزيز حمودة، المرايا المحدبة: من البنيوية إلى التفكيك، (القاهرة: دار سعاد الصباح، 1998)، ص. 18.

ium.usa.online@gmail.com www.ium.edu.so
+ 967 730053135 http://ium.usa.online

بعد الحداثة.[39]

ثانيًا: النقد للمثقف العربي:

ينتقد حمودة المثقف العربي الذي يستورد المناهج الغربية ويطبّقها على النصوص العربية دون مراعاة الفروق السياقية والحضارية. يصف هذا التبنّي بأنه «إسقاط لنموذج لا يمثلنا على نص يمثلنا»، ما يؤدي إلى حدوث «فصام ثقافي» بين الفكر والنص.[40]

ثالثًا:التفكيكية نموذجًا:

يخصص حمودة جزءًا من الكتاب لتحليل نموذج التفكيكية، ويبين كيف أنها نشأت في سياق غربي فلسفي خاص (بعد تفكك الأسس الميتافيزيقية)، ولذلك يصعب تكييفها مع النص العربي الذي ما زال يحتفظ ببنى دينية وثقافية مغايرة. يرى أن التفكيك أداة أيديولوجية لإضعاف الهويات الثقافية، ومن ثم فإن تطبيقها العشوائي يعزز من هيمنة المركز الغربي.[41]

رابعاً: الدعوة إلى البديل العربي:

حمودة يدعو إلى مشروع نقدي عربي يستلهم أدواته من التراث البلاغي العربي، مستشهداً بأمثلة من الجرجاني والقرطاجني. ويعتبر أن تفعيل هذا التراث يمنحنا «عدسة مرآوية مقعرة» تقاوم «المرآة المحدبة» الغربية التي تشوّه صورة الذات.

يرى عبد العزيز حمودة أن السبيل الوحيد للخروج من التبعية الثقافية هو بناء خطاب نقدي محلي، يقوم على حوار مع التراث، وانفتاح نقدي – لا انبهاري – على المنجز الغربي. المركزية الغربية ليست محايدة، بل مشبعة بالإيديولوجيا، وتطبيقها بلا وعي يعيد إنتاج الاستعمار

39- مكرر ص15-23

40- عبد العزيز حمودة، المرايا المحدبة: من البنيوية إلى التفكيك، ط3، القاهرة: عالم المعرفة، 2001، ص 23.

41- مكرر ص15

ium.usa.online@gmail.com www.ium.edu.so
+ 967 730053135 http://ium.usa.online

الثقافي في ثوب جديد.[42]

الباب الرابع: جدل الأصالة والوافد في تحليلات حمودة

أولًا: ما هو جدل الأصالة والوافد عند حمودة؟

يشير عبد العزيز حمودة إلى أن الخطاب النقدي العربي وقع في فخ التبعية للنموذج الغربي، أي أنه تبنّى نظريات وافدة دون مراعاة لخصوصية النص العربي وسياقاته الثقافية والمعرفية. ويعني بـ«الوافد» تلك المناهج والنظريات النقدية الغربية التي انتقلت إلى البيئة العربية، في حين أن «الأصالة» تعني الجهود النقدية التي تنبع من التراث العربي ومن خصوصية الثقافة العربية.

ثانياً: المظاهر الأساسية لهذا الجدل عند حمودة:

١. الهيمنة الغربية:

حمودة يرى أن بعض النقاد العرب اعتبروا الوافد الغربي معيارًا وحيدًا للحكم على القيمة الأدبية أو النظرية، مما أدى إلى تهميش التراث النقدي العربي، وعدم تطوير مناهج نقدية نابعة من هذا التراث.[43]

٢. الاغتراب الثقافي:

يوضح حمودة أن هذا الانبهار بالوافد أدى إلى نوع من الاغتراب الفكري، حيث صار الناقد العربي يتعامل مع النصوص العربية بعيون غربية، دون فهم عميق لسياقاتها الثقافية واللغوية

٣. الازدواجية النقدية:

ينتقد حمودة هذا التداخل أو التناقض بين الأصالة والوافد، إذ يجد أن بعض النقاد يستخدمون مصطلحات ومفاهيم غربية، ثم يعيدون إسقاطها على التراث العربي بشكل قسري، ما يؤدي إلى ازدواجية المنهج وفقدان النقد لهويته.

42- مكرر ص25-30

43- حمودة، عبد العزيز. المرايا المحدبة: من البنيوية إلى التفكيك. القاهرة: مكتبة الأدب العربي، ط3، 2001، صـ 13-15.

ium.usa.online@gmail.com www.ium.edu.so
+ 967 730053135 http://ium.usa.online

٤. دعوة حمودة لتأسيس خطاب نقدي عربي أصيل:

يدعو حمودة إلى الخروج من أسر الوافد، عبر إعادة قراءة التراث النقدي العربي بعيون جديدة، وتطوير نموذج نقدي بديل يستلهم من التراث وينفتح على المعاصر دون التبعية.

ثالثاً: موقف حمودة النهائي من الوافد

لا يرفض حمودة الوافد كليًا، لكنه يرفض الارتهان الكامل له. فهو يطالب بتعامل نقدي انتقائي مع الوافد، بحيث يُؤخذ ما يمكن توظيفه في ضوء خصوصية النص العربي، ويُترك ما لا يلائم هذه البيئة.

يمكن القول إن جدل الأصالة والوافد في فكر عبد العزيز حمودة يمثل محورًا تأسيسيًا في مشروعه النقدي، حيث سعى إلى التنبيه لمخاطر التبعية المعرفية، والدعوة إلى بناء نقد عربي مستقل، يجمع بين وعي التراث وذكاء المعاصرة.

إذا رغبت، يمكنني تلخيص هذه الفكرة في جدول أو دمجها ضمن بحثك الحالي بأسلوب أكاديمي.[44]

الخلاصة:

عبد العزيز حمودة ينتقد التبني الأعمى للنظريات الغربية في النقد العربي التي تشوه الواقع كـ«مرآة محدبة». يهاجم البنيوية والتفكيك لفشلهما في إنارة النص وفقدان المعنى. يدعو إلى بناء نقد عربي أصيل يعتمد على الهوية الثقافية والتراث النقدي العربي، مع تمثل واعٍ للمناهج الغربية. ينتقد المركزية الغربية وينبه إلى خطر الاغتراب الفكري، ويؤكد ضرورة تأسيس خطاب نقدي مستقل متوازن بين الأصالة والمعاصرة.

44- عبد العزيز حمودة، المرايا المحدبة: من البنيوية إلى التفكيك، (القاهرة: عالم الكتب، ط3، 2001)، ص 15-17.

ium.usa.online@gmail.com www.ium.edu.so
+ 967 730053135 http://ium.usa.online

الخاتمة :

يُمثّل مشروع عبد العزيز حمودة في نقد الحداثة علامة فارقة في مسار النقد العربي المعاصر، إذ لم يكتفِ بمساءلة المناهج النقدية الغربية الوافدة، بل سعى إلى تفكيك آليات اشتغالها والكشف عن حدودها المعرفية حين تُنقل إلى السياق الثقافي العربي دون وعي تاريخي أو حضاري. وقد جاء موقفه النقدي من الحداثة، كما تجلّى في المرايا المحدّبة وما تلاه من أعمال، موقفًا معرفيًا لا عدائيًا، يقوم على الفحص والمراجعة لا على الرفض المطلق.

لقد كشف حمودة عن إشكالية "الانبهار المنهجي" التي سيطرت على الخطاب النقدي العربي الحداثي، محذرًا من تحوّل النقد إلى ممارسة مغلقة تستعير مصطلحاتها دون أن تُنتج أسئلتها الخاصة. ومن هنا دعا إلى تأسيس نقد عربي واعٍ بذاته، منفتح على منجزات الآخر، لكنه غير منسلخ عن مرجعياته الثقافية واللغوية، وقادر على المواءمة بين الأصالة والتجديد.

إن قيمة عبد العزيز حمودة لا تكمن فقط في نقده للحداثة، بل في إسهامه في إعادة طرح سؤال المنهج، وسؤال العلاقة بين النص والناقد، وبين التراث والوافد، وهو ما يجعل مشروعه مفتوحًا على قراءات جديدة، وقابلاً للحوار والتجاوز. وبهذا المعنى، يظل نقده للحداثة دعوة إلى العقلانية النقدية، وإلى ممارسة فكرية مسؤولة تُعيد للنقد الأدبي وظيفته المعرفية والثقافية في آنٍ واحد.

ium.usa.online@gmail.com www.ium.edu.so
+ 967 730053135 http://ium.usa.online

الهوامش:

- هالة الطريفي، «إشكالات الحداثة في مشروع عبد العزيز حمودة»، مجلة فصول للنقد الأدبي، مج ٣٨، ع ٢، ٢٠٢٠، ص ١١٤-١٣٢.
- عزمي بلقزيز، الحداثة مواقف، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ٢٠٠٠.
- دسوقي إبراهيم، نقد النقد: قراءة في النقد الحداثي، القاهرة: مؤسسة هنداوي للنشر والتوزيع، ٢٠٢٢
- حسن رشيد، نقد المعتقد الحداثي المعاصر: من منظور الفكر الإسلامي، دون مكان نشر: دون دار نشر، ٢٠٢٣.
- سمير عبد الله، مشروع عبد العزيز حمودة النقدي: قراءة تحليلية، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة القاهرة، كلية الآداب، ٢٠١٧.
- عبد الله الغذامي، الخطيئة والتكفير: من البنيوية إلى التشريحية، الرياض: المركز الثقافي العربي، ١٩٨٥.
- عبد العزيز حمودة، المرايا المحدبة: من البنيوية إلى التفكيك، القاهرة: دار العالم الثالث، ١٩٩٨.
- عبد العزيز حمودة، المرايا المحدبة: من البنيوية إلى التفكيك، القاهرة: دار العالم الثالث، ١٩٩٨، ص ١٠٥.
- خالد حمر العين، جدل الحداثة في نقد الشعر العربي، دمشق: منشورات اتحاد كتاب العرب، ١٩٩٦.

ium.usa.online@gmail.com www.ium.edu.so
+ 967 730053135 http://ium.usa.online

المصادر والمراجع

- الطريفي، ه. (٢٠٢٠). إشكالات الحداثة في مشروع عبد العزيز حمودة. مجلة فصول للنقد الأدبي، ٣٨(٢)، ١١٤-١٣٢.
- بلقزيز، ع. (٢٠٠٠). الحداثة مواقف. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية.
- دسوقي، إ. (٢٠٢٢). نقد النقد: قراءة في النقد الحداثي. القاهرة: مؤسسة هنداوي للنشر والتوزيع.
- رشيد، ح. (٢٠٢٣). نقد المعتقد الحداثي المعاصر: من منظور الفكر الإسلامي. [دون مدينة نشر]: [دون دار نشر].
- عبد الله، س. (٢٠١٧). مشروع عبد العزيز حمودة النقدي: قراءة تحليلية (رسالة ماجستير غير منشورة). جامعة القاهرة، كلية الآداب.
- الغذامي، ع. (١٩٨٥). الخطيئة والتكفير: من البنيوية إلى التشريحية. الرياض: المركز الثقافي العربي.
- حمودة، ع. (١٩٩٨). المرايا المحدبة: من البنيوية إلى التفكيك. القاهرة: دار العالم الثالث.
- حمر العين، خ. (١٩٩٦). جدل الحداثة في نقد الشعر العربي. دمشق: منشورات اتحاد كتاب العرب.
- مفتاح، م. (١٩٨٥). تحليل الخطاب الشعري: استراتيجية التناص. الدار البيضاء: دار توبقال.
- غضبان، ع.، ٢٠٢١، إشكالية البديل الحداثي في المرايا المحدبة لعبد العزيز حمودة،الجزائر: مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، المجلد ٣٥، العدد ١
- الجودي، ل.، ٢٠٠٩ نقد خطاب الحداثة في مرجعيات التنظير العربي للنقد الحديث: قراءة في تجربة الدكتور عبد العزيز حمودة (المرايا المحدبة)،قنا، مصر: مجلة البيان، العدد ١١.
- عويشات، ح.، ٢٠١١، نقد التطبيقات العربية للمناهج النقدية الحديثة من خلال المرايا المحدبة لعبد العزيز حمودة،المسيلة، الجزائر: أطروحة دكتوراه، جامعة المسيلة.

ium.usa.online@gmail.com www.ium.edu.so
+ 967 730053135 http://ium.usa.online

- Obaid S Hanan.(2025), The role of e-learning in solving the higher education financing crisis»An essential and strategic alternative», INTERNATIONAL MINNESOTA JOURNAL OF ACADEMIC STUDIES, (ISSUE:3), (VOL: 9), Pp:39-17.-

ium.usa.online@gmail.com www.ium.edu.so
+ 967 730053135 http://ium.usa.online

الجامعة الإسلامية بمنيسوتا

Islamic University of Minnesota

المركز الرئيسي IUM